

يا رسول الله هذا حمزة  
أترى عيناك منه المصرعا؟  
إنه عمك فانظر بطه  
كيف شقوه، وعائوا في المعى؟  
كبد الفارس، ماذا فعلت؟  
أين طاحت من قضى أن تنزعا؟

ثم يلتفت إلى هند ويذكر كيف أنها نذرت لتلوكن كبد حمزة ولتمثلن به أبشع تمثيل، ولقد فعلت، كما أنها جدعت أنفه وقطعت أذنيه وجعلت من ذلك ما يشبه السوار في يديها. وقلائد في عنقها. وبذلك بلغت في قسوتها ووحشيتها المدى، وكانت أسوة لنساء المشركين الذين مثلوا بقتلى المسلمين أبشع تمثيل. ولما خرج ﷺ يتلمس حمزة وجده وقد بقر بطنه ومثل به فلم يكن أوجع لقلبه مما رأى، وقال: "لن أصاب بمثلك، وما وقفت موقفا أغيظ من هذا، رحمة الله عليك كنت فعولا للخيرات. وصولا للرحم"، ثم صلى عليه وعلى إخوانه من الشهداء وأمر بدفنهم.

وهكذا يواكب الشعر التاريخ، ويبدو أحمد محرم شاعرا مؤرخا بكل ما تتسع له الكلمة من معنى. إنه يشبه شعراء الملاحم في الفارسية وفي طليعتهم الفردوسى الذى نظم تاريخ الفرس فى ستين ألف بيت من الشعر وكانت منظومته المعروفة بالشاهنامه كتاب أدب وتاريخ فى آن. والشاعر يعتمد على الحقيقة التاريخية ويؤيد بها ما يقول من شعر، فقد قيل إن النبى ﷺ رأى فيما يرى النائم كأن بقرا تذبح وفى ذبابة سيفه ثلما، كما رأى أنه أدخل يده فى درع حصينة، كما رأى كبشا، فعبر ﷺ هذه الرؤيا أن البقر ناس من أصحابه يقتلون، وأما الثلم فى سيفه فرجل من أهل بيته يقتل. وأما الدرع الحصينة فالمدينة، أما الكبش فإنه يقتل كبش القوم وهو (طلحة حامل لواء المشركين).

أما المستفاد من هذه الرؤيا فهو اقترانها وإنباؤها بخطب جليل وقد أومأت إلى ما وقع. ولقد شعر به قلب الرسول الطاهر ﷺ مما يدل على ما له من مرموق الخطر وأن مصرع حمزة حدث له الصدارة بين الأحداث التى ماجت بها غزوة أحد.

والشاعر يتحدثنا عما أسلفنا ذكره ولكن الشاعر يستطرد إلى معان أخرى يستمدها من مصرع حمزة فتد على خاطره قيم الإسلام ومثله، ويهيب بالمؤمنين أن يأخذوا بها ويكونوا على ذكر منها:

مثل القوم به من بعيمهم  
ما نهاهم ديهم أو منعا  
ليس للأخلاق إلا دينها  
يوثر المثلى ويهدى من وعى